قصيدة النثر المحلية

شاكر لعيبي

يساهم الجميع بخلق حرية متوهَّمة داخل كتابة شعرية واهمة.

بم يختلف إذن جيل القصيدة النثرية المحلية عن الأجيال الشعرية السابقة إذا لم يتشابه معها بالأسباب والإمكانيات والإرادات المذكورة نفسها ؟

هذا السؤال يخفف من وطأة كل مجدٍ للماضي الشعريَ قريب العهد وأجياله، لصالح مغزى السؤال فحسب. وهو لا يقيم قطيعة بين الأجيال الأدبية قدر ما يرى أن الجسور كانت دائما مفتوحة بينها وأن المشكلة لذلك ذات مصادر مشتركة، وتقع في أن قضية الحداثة كانت تعاني منذ البدء في العالم العربي من سوءِ فهم، لذا يكفّ الحديث عنها اليوم تماماً تقريباً، من أجل طمس معالم سوء الفهم، وهي تعاني اليوم لذاك السبب من الابتسار.

ما زالت المشكلة قائمةً، ففي حين ينقل النقد الأدبي العربي آخر نظريات الفكر النقدي الحداثي الأوربي ويسعى بمهارة لإيجاد تطبيقات لها، يصطدم المنجز الشعري المحلي، بعقبات أولها صعوبة انسجامه مع تلك النظريات لأنه يظل مشدودا، رغماً عنه، إلى تاريخ لغوي- نحوي وإيقاعي ونفسي ذي خصائص له، أي خصائص لم تدرسها التنظيرات المشار إليها، وثانيها لأن النتائج الأخيرة لقصيدة النثر المحلية لا تبدو طالعة أو عارفة تماماً بالمنجزات النقدية الأوربية الجديدة. تبدو المشكلة الراهنة وكأنها جزءٍ من مشكلة قديمة كان روادِ الشعر الحرّ (السياب خاصة)، وليس رواد القصيدة النثرية في قصيدة النثر المحلية نقع على جميع التناقضات الوجودية الراقدة والمتراكمة في روح جيل جديد من الوعي الشعري العربي: ثمة الرغبة بالتحرر من أرث القواعد الكلاسيكية من دون امتلاك الأسباب (أي الشروط الموضوعية) ولا الإمكانيات (أي المعارف المنهجية الضرورية) ولا الإرادة (أي شرط المغامرة الوجودية الحقيقية). هكذا يستعاض عن حرية الوجودِ الفعلي داخل العالم بنوع من حرية متوهمة داخل كتابة واهمة.

المحلية، على وعي بها، فكان أولئك يواظبون على إيجاد الصلات بين أرث الشعر العربي الإيقاعي والروحي وبين حداثة أوربية مبهمة متفجرة توجب التعاطي معها. ذاك الإقران بين التراث والحداثة والمعرفة والرغبة بشعر جديد كان يبدو طموحاً راديكاليا غير مريح يومئذ، ولكنه يبدو اليوم مسعى رجعياً ومتخلفاً ومريحاً من دون سبب وجيه. لقد كف اليوم الكثير من الطليعيين العرب عن التعاطي مع قضية التراث الذي يتحول لدى شعراء قصيدة النثر المحلية إلى موطن للشبهة.

شعراء مجلة (شعر) وشعراء آخرون (مثل محمد الماغوط) سوف يوطنون القرانات، بدرجات متفاوتة، بين حداثة ستظل مبهمة الملامح وتاريخ شعري عربي واضح المعالم يتوجب تكييفه، أو تحطيمه إذا توجب الأمر، لتلك الحداثة، ودائما بوعي دائب وحرقة.

في أواخر الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي يظهر جيل آخر من الشعراء العرب المشدودين برهافة للمشكلة ولمنجز أسلافهم، لتصير قصيدة النثر، رويدا رويدا، على أيديهم قاعدة للشعر لكن في ظل غموض متواصل، متواطئ عليه لمعنى الحداثة رغم عمليات التوضيح له والشرح وترجمة الكتب والمقالات عنه. وفي عملية تحطيم البُنى الثقافية والمؤسساتية للثقافة العربية منذ أواسط السبعينيات يبدأ المصطلح كما الممارسة الشعرية بالمزيد من التفتت والانهيار والإبهام لتأخذ قصيدة النثر المحلية مكانها البارز الحالي وتتشكل ضمن سياق من القطيعة، المريحة هذه المرة تماماً، حتى مع إرثها القريب الذي تطلع منه. لا تعريف للحداثة ولا معنى أو ماهية لها تقريباً في المنجز الحالي لقصيدة النثر المحلية. إنها من أكثر المفهومات غيبوبة عن الوعي الحديث رغم أن الجميع يكتب الشعر باسمها.

الصورة المرسومة هنا تحتاج إلى رتوشات وتوضيحات وتفاصيل وظلال وبشارات واستثناءات، لكنها تظل إجمالاً ممكنة في تأويل حضور قصيدة النثر المحلية الفاعل.

ما سيزيد الطين بلة أن وسائط الميديا الحالية، الأنترنيت على وجه الخصوص، سوف يعمق من أثر المشكلة. فهو يُغيِّب القراءات الجادة للشعر الغائبة أصلاً، ويوطد شعراء النثر المحليين في منابر جديدة لا مراجع لها هي الأخرى سوى نفسها المعتدة من جديد. ستتراجع مبيعات الكتب الشعرية إلى مستوى الصفر مرات، وسينهمك جمع غفير بطباعة أعمالهم الشعرية على حسابهم الشخصي. لا أحد في هذا السياق سيهتم بإصدار مجلة عربية للشعر الحديث في عالم مكتظ بالشعراء ويبدو وكأنه كله يكتب الشعر منذ هذه اللحظة مخاطباً قارئاً شبحياً لا وجود له أبداً.

هذه الصورة لن يوافق الجميع عليها، وقد تصيب المرء باليأس وتدفع للاتهام بالنكوص عن منجزات قصيدة النثر في العالم العربي. لن يتراجع عقل صاح عن منجز ممكن طليعي مثلها بالطبع، الأمر الذي لا يمنع من القول أن ثمة حاجة ماسة إلى إعادة تعريف بمصادر الإلهام الأدبي، خاصة بالجزء الأساسي منه المتعلق بالمنطلقات الاصطلاحية وأولها مفهومة الحداثة، ثم الانحناء على مشكلات اللغة والنحو والإيقاع والتراث الشعري الجاري الحط من شأنها كلها ضمناً عبر النصوص المحلية الموصوفة. استند الرجعيون دائماً إلى أسئلة ليست خاطئة دائما وكانت نواياهم غير سليمة، من أجل القيام بتثبيت مفهومات أكل الدهر عليها وشرب. وهو أمر ليس موجبا بالنسبة لأنصار الجدة لفقدان الحماسة المطلقة والأمل بكل تجديد وتجريبية ولا التخلي عن مناهضة الجمود الجمالي بأشكاله كلها.

سوزان بيرنارد

هل الفنان همّش.. ومن همّشه؟

ماجد زيدان الربيعي

هل الفنان العراقي بمستوى هذه المرحلة المعقدة؟ يقال انه مهمش، فمن همشه؟ الحكومة... الارهاب.. الوضع الامني؟

(المدى) حاولت ان تستطلع آراء بعض فناني بابل في هذا الشأن.

الفنان محسن فاضل (مخرج) اوضح اننا نعيش فترة مخاض صعبة، وعلينا ان ننتظر لكي يأخذ الفنان دوره ويتحمل مسؤوليته كاملة في كل المجالات.

أضربُ لك مثلا على مستوى الاغنية العراقية فقد كانت الاغاني والاناشيد تواكب الاحداث المهمة التي يمر بها الوطن ولدينا العديد من الامثلة من عزيز علي والقبانجي وغيرهما الكثير.

الا اننا للاسف الشديد لم نعد نسمع أغنية وطنية أو منلوجاً بالمعنى الحقيقي، وبوجه عام لدينا الوقت الكافي كي نستوضح الرؤية ودائما يكون العمل ناجحاً ما دام مقرونا بالوطنية والولاء للعراق.

مهند الخياط (مسرحي) قال ان الظروف السياسية والاجتماعية التي احاطت بالفنان العراقي بشكل عام كانت كفيلة لان تقتل فيه روح العطاء، وتغلق بوجهه سبل الارتقاء بالواقع الفني حتى اصبح بعض فنانينا لا يبصرون ابعد من طول اذرعهم والكثير منهم جعل مخيلته حبيسة لارضاء النظم السياسية القائمة والبحث عن سبل النفاذ الى الثراء المادي والارتقاء بالمكاسب والمناصب الاجتماعية والسياسية.

جواد الحسون (كاتب مسرحي) قال: ان طول الفترة التي استغرقتها النظم السياسية السابقة في صناعة الفنان العراقي وترويضه جعلت في داخله شيئا من التذبذب والصراع الداخلي بين ان يتحرر وينطلق حيث الفضاءات الحرة الهادفة والى خلق حيز وبيئة تمكنه من استعادة الذات التي صودرت في زمن ما.. وبين سطوة ذلك الماضي القريب البعيد الذي يلتصق في مخيلته وذاته وشعوره بالعجز من التخلص منها ومغادرتها الى حيث حرية الرأي والفكر.

الفنانة بشرى عباس اشارت الى ان المسألة معقدة بعض الشيء، فالفنان يتمتع اليوم بالحرية في التعبير عن رأيه وعكس ذلك بما انتجه ولكن هنالك معوقات كثيرة اهمها الامن والامان، فالفنان مقيد ولا يمتلك حرية التنقل واصبح السفر الى بغداد مشكلة كبيرة، فكيف تريد منه والحال على هذا النحو ان يرسم ويعرض ومع كل هذا وذاك فقد شاهدت من الاعمال الفنية التي تمتلك الكثير من الجديد الذي يمثل صرخة ضد القتل وضد الارهاب.

الفنان د.صفاء السعدون اوضح ان المشكلة هي في الوعي لان الكثير من الفنانين العراقيين لم يرتقوا للاسف الى مستوى ما يمر به البلد كونهم لا يملكون الثقافة الكاملة والكافية اضافة الى عدم القدرة على استيعاب ما يحدث.

لقد توفرت الحرية.. نعم ولكنها لم تستغل في تطور الفن بل ان الكثير من الفنانين لم يفهمها اصلا.

الفنان جميل الكبيسي قال ان الفنان مستمر وهنالك المئات من الاعمال التي عبرت عما يمر به الوطن غير ان الوضع الامني غير المستتب يمنع عرضها واتمنى ان تتبنى المؤسسة الثقافية عرض هذه الاعمال كي يستطيع المتلقي مشاهدتها وانا اعتقد ان الفنان العراقي ليس عاجزا عن ايصال ابداعه وهو المشهود له على مر السنين باخذ دوره الريادي في الحركة السياسية والثقافية العراقية.

الناقد عبد علي حسن اكد ان الفنان العراقي والمبدع بوجه عام لا يتعامل مع الظواهر السريعة بل ينتظر وضوح الصورة، ان عدم وجود الاصطفاف الوطني وما يفرزه الواقع من متغيرات يعني الفنان والمبدع وان ردة الفعل السريعة ليست مجدية، بل ان الاستقرار من الامور المهمة التي تجعل من المبدع يتعامل مع الثوابت وكما تعلم فان الاحداث العظيمة هي التي تفرز الفنان المتميز وتساهم بتشكيل وخلق المدارس الفنية.

الفنان د.غالب المسعودي فسر عدم ارتقاء الفنان الى مستوى المرحلة بعدم وجود قاعات العرض وعدم وجود الامان، كذلك عدم اطلاع الكثير على النتاج الجديد فالفنان جزء من الحالة التي يمر بها الوطن ولا يمكنه ان يكون خارج دائرته، واضاف بأن لدي عشرات الاعمال الجديدة ولكن اين الامان واين نعرض؟ لست الوحيد بل هناك المئات غيري من الفنانين، ومع كل ذلك فقد عرضت بعض اعمالنا داخل العراق وخارجه حاملة تصورنا للمرحلة الراهنة.

الوجدان لـ(فائق بطي)

سيرة تاريخية خاصة تتوحد في سيرة حزب ووطن

"اول ما لفت نظري عند تصفحي كتاب "الوجدان" هو انه رواية وليس سيرة نضالية وتاريخية للكاتب ورفاق دربه وزملائه ، لما عرف عن ولعه وشغفه بتاريخ الصحافة وبحثه الجاد فيها ، فكانت مؤلفاته مصدرا للطالب والباحث لا غنى عنها ، حتى انها دفعت احد الاساتذة في اكاديمية العلوم السوفييتية الى منحه مقعدا دراسيا للحصول على شهادة الدكتوراه لكثرة ما ترجم واقتبس منها الطلبة من فصول ، في اطاريحهم. ونقل اليه.. "انك زودت المكتبة بكتب عديدة عن تاريخ الصحافة ، وهم يعرفون بان طلاب المعهد يترجمون فصولا منها لينالوا درجاتهم ، مما يؤهلك ان تنال درجة اكاديمية ، وهي استحقاقك العلمي".. ص٢٥٣ فكانت نقطة البداية لمؤلف جديد "الصحافة اليسارية في العراق" ليضاف الى السلسلة التي لا تنتهي من الجهد العلمي والرصانة في البحث التاريخي والفكري والسياسي.

العنوان: الوجدان
المؤلف: فائق بطي
عدد الصفحات: ٣٩٦ من القطع الكبير
الناشر: دار المدى

وما دمنا في الصحافة يحسب للمؤلف اصداره جريدة "عراق الغد" المعارضة في لندن ومجلة "رسالة العراق" وكلاهما يشار اليهما بالبنان في خدمتهما النضال المعارض للاطاحة بالدكتاتورية، واصبحتا مصدرا للمعلومات في تكوين الرأي العام وحشده ضد الطاغية وفضح ممارساته القمعية.

نشأ فائق في بيت ادبي وصحافي وسياسي، فوالده صاحب جريدة واديب وبرلماني ووزير في العهد الملكي، سجن واعتقل عدة مرات وتغرب، أي ان الخطوات الاولى في السيرة الوطنية بدأت منذ الصبا في قضاء العطل المدرسية في مطبعة البلاد، يعود منها محملا بالمجلات والصور والصحف المصرية، شيئا فشيئا ينهل منها.. ولم تنفع البراءة والطفولة في ان تقيه العقاب.. يقول واصفا ذلك "حمل صورة جريمة حتى لو قام طفل بريء بها. كانت تلك اول جريمة سياسية يرتكبها".ص٣,

اليس الولد على سر أبيه مثلما يقال.. ليرث السجن والاعتقال والهجرة القسرية.. "مما جرى للوالد والمئات من المعتقلين وراء الاسلاك الشائكة في مدينة العمارة.." واصبحت لعبة الحرب والاستعمار لعبة مفضلة.. "وشكل من عيدان الكبريت وأزرار القمصان.. جنودا وعربات ودبابات.. فتخوض قوات الطرفين المعارك حتى تنتهي اللعبة في نهاية المطاف بانتصار القوات الوطنية على قوات الاستعمار.. وتطهير مدينة العمارة من الاعداء لاطلاق سراح الوالد". ص,١١

احلام اليقظة في طفولته تتحقق في عام ١٩٥٩ ثم تعاد الكرة، بعد اعوام من النفي والسجن والالام الصعبة للحياة السياسية السرية، يعود عام ٢٠٠٣, سيرته التاريخية والسياسية والمهنية النابعة من الحياة الاجتماعية التي عاشها تتوحد مع سيرة وطن وشعب، وفائق بطي يكتب ايضا عن سيرة آخرين، فالمذكرات مليئة بالاسماء والمواقف والشهادات اصحابها الان، ساسة كبار وقامات عالية في الصحافة والادب والفكر.

وهذه واحدة من مميزات المذكرات اضافة الى صدقها وصراحتها وتساميها فان صاحبها لم يكن انانيا ولم يضع نفسه في مقدمة الاحداث ولم ينسب لنفسه دورا لا ينتسب اليه، فالسيرة تتسع الى عشرات الاسماء وتوثق مواقف رفاق درب. انه كتب بوجدان نقي وصاف ينصف الشهداء والاحياء.

تتابع السيرة احداثا لا يزال الجدل يحتدم احيانا بشأنها، فهو يتعرض الى انقلاب شباط عام ١٩٦٣ الدموي، وسياسة الحزب الشيوعي ومواقفه، والى التحالف مع البعث والانشقاق عام ١٩٧٦ وما بعده من عمل معارض ضد الدكتاتورية.

يروي احداثا وآراء كان شاهدا عليها تارة وفاعلا في أخرى حماية للوجدان، ليس وجدانه فحسب، وانما الوجدان النضالي التاريخي الجمعي، صونا له من التشويه والأنا.

وقبل ذلك يلتقط فائق صورا من الحياة الانسانية وقساوة الجلادين وحربهم النفسية، ومحاولات تهديم البنية الداخلية للمناضلين بأي اسلوب كان.

وبرغم ثقل الاضطهاد والقمع، الا انه لم يفقد الامل.. في احدى هذه اللحظات يقول له سجانه شامتا بما لا يمكن الشماتة به عندما يرزق فائق بنتاً "تصور المصيبة انت في السجن وتأتيك المصائب اكثر.. أي في الاقل لو كان المولود صبيا؟.. اقترح عليك ان تسميها "اعتقال" كما كان بالامس حين طلبوا من والده ان يسمي اخته "هاجر" التي ولدت في القاهرة".

يرد متحدا "لا اعتقال ولا هاجر، بل من داخل السجن نوقد "لهيب" الانتفاضة". ص١٤٢

وايضا، نجد في المذكرات صورا جميلة لتضامن الشيوعيين والديمقراطيين فيما بينهم، وارتقاء روح التكافل بين المضطهدين والمساعدة التي تسمو وتعلو على الصغائر، ونحن اليوم احوج ما نكون الى استعادة هذه الروح ليس من اجل طموحات ومصالح ذاتية، وانما للمبادئ والبناء الذي نريد ان نكون عليه، فهذه النماذج الطيبة والثرية في اخلاقها تقدم مثالا على الوجدان النزيه.

يؤرخ للاحداث ويحدد المواقف بجمل قصيرة دون إسهاب او اطناب الا انها نابتة ومعبرة وذات دلالة اضافة الى وضوح الرؤية الفكرية.. فعن التأميم يقول: "تأميم البنوك وشركات اهلية، هل نسمي التأميم الارتجالي خطوة اشتراكية، بينما شركات النفط الاحتكارية تنهب خيرات البلاد؟ اعداء الاشتراكية يؤممون وانصارها يسجنون اية اشتراكية هذه؟" ص١٥٠

وتتضمن المذكرات نقاشات بشأن "الانقلاب" الانشقاق مع ابراهيم علاوي وحسين الكمر ويربط بينه وبين ما عرف بخطة "العمل الحاسم" التي عرضت قبل يوم واحد في اجتماع حزبي، ويذكر "ان مهمة الحزب المباشرة لا يمكن ان تكون دعوة جميع القوى الموجودة الى الهجوم الان بالذات بل يجب ان تكون الدعوة الى خلق تنظيم ثوري آهل لتوحيد القوى ولقيادة الحركة لا بالاسم وحسب، بل بالفعل ايضا." ص١٧٠

ويفرد مساحة لمناقشة عقدة التحالف مع البعث يعكس فيها ليس وجهة نظره فقط، بل الاراء المجمعة على خطأ الجبهة، يضع ذلك على لسان المحيطين به من غير العقائديين الذين يعبرون عن موقفهم بحس عالٍ من الاستشعار بالخطر والعفوية اللذين يهملان في مجرى الكفاح والعمل، ليصل الى فكرة لا تزال راهنة، وموضوع نقاش "يجب ان يكون التحالف تكتيكيا وليس استراتيجيا.. وليس تحالفا ايديولوجيا او محاولة ايجاد حل وسط بين الايديولوجيتين.. وراح البعض يكرر اخطاء من سبقهم في مصر او سورية ابان تجربة الاتحاد الاشتراكي.. وانساق آخرون وراء وهم خيال "خندق واحد لا خندقان".." ص٢٣٧

ويركز على المؤتمر الخامس للحزب بنشر مطالعته التي القاها في قاعته وهي مداخلة مهمة تناقش الازمة في الحزب ودور القيادة فيها ويتطرق الى التجديد الذي يريد على الصعيد الفكري والتنظيمي، ويورد رد فعل بعض الرفاق عليها. ص٣٨٩ ويسلط بعض الضوء على دور فخري كريم وتحركه في المؤتمر وتكوين القيادة الجديدة، ويشير الى الصراعات فيها.

ونحن في انتظار "الوجدان" في جزئه الثالث، نشد على يدي فائق بطي على تواضعه وطيبته وابتعاده عن "الانا" ونتوقع ان يكون الأتي أجمل.

اصدارات

وردة الياسمين ودموع الفيل

عن سلسلة مكتبة الطفل، التي تصدر عن دار ثقافة الاطفال، صدر كتاب (وردة الياسمين).. من تأليف الروائي عبد الرزاق المطلبي.. وهو الكتاب الثالث ضمن السلسلة القصصية التي تصدرها الدار. وقد ابدع رسومه الفنان نبيل يعقوب.

كما صدر عن السلسلة كتاب (دموع الفيل) ضمن سلسلتها القصصية الموجهة للاطفال، الكتاب من تأليف الدكتور مالك المطلبي، وقد صاغ مفرداته باسلوب شيق وجذاب وزينت صفحاته اللوحات التي ابدعتها مخيلة الفنان عبد الرحيم ياسر.

عدد جديد من " أضواء "

صدر العدد الخامس من مجلة أضواء، عن مديرية النشاط المدرسي في المديرية العامة لتربية بابل، وتضمن العدد مقالات فنية وتربوية، ومنها يوميات مشرف تربوي ،حين يتكلم الجرح ،من رواد النشاط المدرسي ،الفنان وانموذجه وجهاً لوجه.

استطاعت المجلة تجاوز العديد من الاشكالات الفنية، الى ان اكتملت وحازت اعجاب وثقة الادباء والمثقفين في المحافظة. وتمثل ((اضواء)) تجربة جديدة بالنسبة لمديريات النشاط المدرسي في القطر وحظيت وهيئة تحريرها بدعم كامل من السيد مدير عام التربية في بابل د. حمادي العوادي.